

الأوضاع العامة في إنكلترا خلال الحكم النورماندي (١٠٦٦-١١٤٥م)

سراب جفات عوده

sarab.awda2404m@coeduw.uobaghdad.edu.iq

أ.د. ستار جبار حسين الجابري

sattar.aljaberi@cis.uobaghdad.edu.iq

٢٠٢٦ / ٠٣ / ١٥	: التعديل (Revision)	٢٠٢٦ / ٠٣ / ٠٢	: الاستلام (Received)
٢٠٢٦ / ٠٩ / ٣٠	: النشر (Published)	٢٠٢٦ / ٠٤ / ٠٧	: القبول (Accepted)

This work is licensed under a [Creative Commons Attribution](https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/)

[4.0 International License](https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/)

الملخص:

يتناول هذا البحث الأوضاع العامة في إنكلترا خلال الحكم النورماندي في الفترة بين (١٠٦٦-١١٤٥م)، مركزاً على التحولات السياسية والاجتماعية التي صاحبت صعود أسرة بلانتجنيت إلى السلطة. يبدأ البحث بمحور أصول أسرة بلانتجنيت، مستعرضاً خلفيتها العائلية والنفوذ الذي مكّنها من فرض سيطرتها على إنكلترا. ثم ينتقل إلى محور مقاطعة نورماندي، موضحاً أهميتها كمركز للسلطة النورماندية وعلاقتها مع الأراضي الإنكليزية. ويبحث المحور الثالث في طبيعة العلاقة بين أسرة بلانتجنيت وإنكلترا، مبرزاً أساليب الحكم والاندماج في المجتمع الإنكليزية والتحديات التي واجهتها الأسرة في تعزيز سيطرتها على النبلاء المحليين والشعب. وأخيراً، يتناول البحث خلافة أبناء ويليام الفاتح وتقسيم المملكة، مستعرضاً كيفية توزيع السلطة بين الأبناء والصراعات الداخلية الناتجة عن هذا التقسيم، وتأثيرها على استقرار الحكم النورماندي.

الكلمات المفتاحية: إنكلترا، النورمان، أسرة بلانتجنيت، العصور الوسطى، ويليام الفاتح، هنري الأول.

Abstract:

This study examines the general conditions in England during the Norman rule from 1066 to 1145, focusing on the political and social transformations that accompanied the rise of the House of Plantagenet to power. The research begins with the origins of the House of Plantagenet, reviewing its familial background and the influence that enabled it to assert control over England. It then moves to the province of Normandy, highlighting its significance as a center of Norman authority and its relations with English territories. The third section investigates the nature of the relationship between the House of Plantagenet and England, emphasizing the methods of governance, integration into English society, and

the challenges faced by the family in consolidating its control over the local nobility and the population. Finally, the study addresses the succession of William the Conqueror's sons and the division of the kingdom, outlining how power was distributed among the heirs, the internal conflicts resulting from this division, and their impact on the stability of Norman rule.

Keywords: England, the Normans, the Plantagenet, the Middle Ages, William the Conqueror, Henry I.

المقدمة:

يمثل الحكم النورماندي في إنكلترا (١٠٦٦-١١٤٥م) مرحلة محورية في تاريخ المملكة، حيث شهدت البلاد تحولات سياسية واجتماعية واقتصادية عميقة نتيجة غزو نورماندي بقيادة ويليام الفاتح. وقد أسس هذا الغزو أسرة بلانتجنيت التي لعبت دوراً محورياً في رسم معالم الحكم والنظام الإداري في إنكلترا. كما ارتبطت العلاقة بين إنكلترا ومقاطعة نورماندي بعلاقات معقدة ومتداخلة، تجمع بين الولاء الشخصي والمصالح السياسية، ما أثر على الاستقرار الداخلي للمملكة.

يهدف هذا البحث إلى دراسة الأوضاع العامة في إنكلترا خلال الحكم النورماندي من خلال أربعة محاور رئيسية: المحور الأول يتناول أصول أسرة بلانتجنيت، والمحور الثاني يستعرض طبيعة مقاطعة نورماندي ودورها في السياسة في إنكلترا، والمحور الثالث يركز على طبيعة العلاقة بين أسرة بلانتجنيت وإنكلترا، أما المحور الرابع فيتناول خلافة أبناء ويليام الفاتح وتقسيم المملكة وتأثير ذلك على وحدة البلاد واستقرارها. من خلال هذا البحث، سيتم تقديم صورة شاملة عن التحولات السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي ميزت فترة الحكم النورماندي في إنكلترا، مع التركيز على العوامل التي شكلت مسار التاريخ الإنكليزي في هذه الحقبة.

المحور الأول: أصول أسرة بلانتجنيت (Plantagenet):

تعود أصول الأسرة إلى فرنسا من اتحاد النورمانديين والأنجويين^(١)، وترجع تسميتهم إلى الشعار الخاص بالكونت^(٢) أنجو جيفري (Geoffrey of Anjou) (١١١٣-١١٥١م)^(٣)، حاكم نورماندي ومؤسس السلالة، وهو الاسم اللاتيني لنبته جينستا (Genista) والتي تعني زهرة المكنسة الصفراء، والتي كان جيفري يضعها على قبعته^(٤).

وقد عُرف الحكام الأوائل لتلك السلالة أيضاً باسم أنجيفن (Angevin) من اسم أنجو، وحكمت تلك الأسرة إمبراطورية شاسعة تمتد من اسكتلندا شمال إنكلترا إلى جبال البرانس (Pyrenees) جنوب فرنسا، ولأكثر من ثلاثة قرون، من القرن الثاني عشر للميلاد وحتى أواخر القرن الخامس عشر للميلاد، وتحديداً من عام (١١٥٤-١٤٨٥م)^(٥).

نشأ جيفري وشقيقه هيلياس (Helyas) وشقيقتاه ماتيلدا (Matilda) وسيبيل (Sibyl) في منزل والده فولك الخامس (Fulk V) (١٠٩٢-١١٤٣م)^(٦) مع أبناء النبلاء المحليين، وتلقى تعليمه في القيادة والإدارة والحرب والأدب منذ صغره، وكان يرافق والديه في العديد من واجباتهما اليومية، فشهد معهما على الموثائق وحضر جلسات المحكمة الكنسية، تلقى تعاليم خاصة بالسياسة والحرب والأمور العسكرية والإدارية، وشارك في حكومة والديه منذ سن مبكر جداً^(٧). كانت كل مقاطعة من البلاد تحت حكم أمير مستقل، لكن تبعية تلك المقاطعات كانت تعود إلى ملك فرنسا^(٨). في ذلك الحين، كانت فرنسا مقسمة إلى عدد من الإقطاعات والدوقيات المستقلة، ويحكم كل منها كونت بصفته نائباً عن الملك^(٩).

شكلت بدايات القرن الثاني عشر الميلادي مرحلة محورية في تاريخ أوروبا الغربية، تمخضت عنها بزوغ نجم سلالة بلانتجنيت، فقد تنازل فولك الخامس، كونت أنجو، عن جميع أملاكه وألقابه الفرنسية لابنه جيفري الخامس في عام ١١٢٩م، كان الدافع وراء ذلك التنازل هو مغادرة فولك إلى الشرق لتولي منصب ملك المملكة اللاتينية في القدس (King of Jerusalem) عن طريق زواجه من الأميرة ميليسندا (Melisende) (١١٠٩-١١٦١م)^(١٠)، الوارثة الشرعية للعرش^(١١).

وبتلك الخطوة، ورث جيفري الخامس، الذي اشتهر بلقب جيفري بلانتجنيت، مجموعة من أهم الإقطاعات الفرنسية، والتي أصبحت النواة التي ستتطور لاحقاً إلى ما يُعرف بالإمبراطورية الأنجيفية^(١٢). تحت حكم ابنه الملك هنري الثاني (Henry II) (١١٣٣-١١٨٩م)^(١٣). وكانت أبرز تلك الممتلكات:

١ - كونتية أنجو (County of Anjou)

تقع في غرب فرنسا، وكانت أنجو مقاطعة إدارية صغيرة نسبياً، مركزها مدينة أنجيه عند ملتقى نهر لوار وماين، وتوسعت في القرن الحادي عشر لتصبح إحدى الإمارات الرئيسة في فرنسا، وبفضل نفوذها القوي استطاعت أنجو السيطرة على معظم غرب فرنسا بشكل مستقل عن ملك فرنسا، ومن تلك القاعدة تمكن آل بلانتجنيت من غزو نورماندي وإنكلترا^(١٤).

٢ - كونتية ميين (County of Maine)

إقليم مجاور لأنجو، يقع إلى الشمال منها، وكان مرتبطاً سياسياً وإدارياً بكونتية أنجو، مما وسع النفوذ المباشر لآل بلانتجنيت في شمال غرب فرنسا، اتحدت مع أنجو عام ١١٢٦م، وأصبحت إنكليزية عام ١١٥٤م^(١٥).

٣ - كونتية تورين (County of Touraine)

هي وحدة إقطاعية تاريخية في غرب فرنسا، تركزت حول مدينة تور في وادي اللوار، وشكلت إحدى المقاطعات الإقليمية المهمة في التنظيم السياسي لفرنسا خلال العصور الوسطى. اكتسبت أهميتها

من موقعها الاستراتيجي في وادي اللوار الخصيب، ومن كونها مركزاً دينياً بارزاً منذ انتشار المسيحية المبكرة، فضلاً عن دورها كمقر لإقامة ملوك فرنسا، ولا سيما في عصر النهضة. وقد ارتبطت المقاطعة بالبنية الإقطاعية للمملكة الفرنسية، إذ خضعت لحكم كونتات محليين قبل أن تندمج تدريجياً ضمن السلطة الملكية المباشرة، وأصبحت لاحقاً أساساً للوحدة الإدارية الحديثة المعروفة بإقليم إندر-إي-لوار، مما يعكس استمرارية دورها السياسي والإداري في التاريخ الفرنسي (١٦).

المحور الثاني: مقاطعة نورماندي:

يعود تاريخ دوقية نورماندي في العصور الوسطى إلى أوائل القرن العاشر، حينما منح ملك الفرنجة أراضي في وادي السين السفلي لزعيم الفايكنج (Vikings) (١٧)، رولو (Rolf) (٨٦٠-٩٣٢م) (١٨) الذي استقر مع أتباعه حول مدينة روان. في القرن الذي تلا ذلك توسعت نورماندي، أي (Northmania)، أراضي الشماليين تدريجياً حتى امتدت شرق نهر السين إلى نهر إبتي، وغرباً إلى الشاطئ الأطلسي لشبه جزيرة كوتنتين (Cotentin).

لم تكتفِ الأسرة بالإقطاعات الفرنسية، بل سعت إلى التوسع في الجزر المجاورة لها، إذ غزا دوق نورماندي ويليام الفاتح (William the Conqueror) (١٠٢٧-١٠٨٧م) (١٩) عام ١٠٦٦م إنكلترا، وازعماً أسس مملكة عبر القنال الإنكليزي، دُمجت العادات واللغة النورماندية مع الأنكلوساكسونية، مما شكّل نقطة تحول في تاريخ كل من الدوقية الفرنسية والمملكة الإنكليزية، ومن الجدير بالذكر أن تلك المقاطعة لم تكن ضمن ميراث جيفري من والده فولك الخامس، بل حصل عليها عن طريق زوجته ماتيلدا (Matilda) (٢٠)، التي ورثتها من أجدادها (٢١).

المحور الثالث: طبيعة العلاقة بين أسرة بلانتجنيت وإنكلترا:

ترتبط العلاقة بين أسرة بلانتجنيت وإنكلترا ارتباطاً وثيقاً بجذور الأسرة في مقاطعة نورماندي الفرنسية. فقد نشأت توترات مبكرة بين التاج الإنكليزي والنبلاء النورمان، ولا سيما في عهد الملك هنري الأول (Henry I) (١٠٦٨-١١٣٥م) (٢٢)، والذي كانت أصوله نورماندية تعود إلى الملك ويليام الفاتح. أدى ذلك التنافس إلى صراع على السيطرة على مقاطعة نورماندي نفسها، مما جعل العلاقة بين المملكتين معقدة وملينة بالتداخل (٢٣).

تعود جذور تلك العلاقة إلى ويليام الفاتح، دوق نورماندي، وقد كانت نقطة التحول الحاسمة عقب عام ١٠٦٦م نتيجة انعدام الوريث مباشر للعرش، مما أدى إلى فراغ سياسي وأزمة خلافة حادة. وكان سبب غزو نورماندي لإنكلترا حينما نصب الملك إدوارد ابن الملك أثيلارد، والذي لقب بإدوارد المعترف، وقد بلغ من العمر أربعين عاماً ولم يكن له وريث على العرش، مما أدى إلى حدوث صراع حول من

يتسلم عرش إنكلترا من بعده. ومن تلك الشخصيات التي كانت بارزة على الساحة في إنكلترا: هارولد جودوينسون (Harold Godwinson) (١٠٢٢-١٠٦٦م) (٢٤) وويليام الفاتح، دوق نورماندي (٢٥).

ادعى ويليام الفاتح أن الملك إدوارد المعترف قد وعده بالعرش، ومن هنا جاءت شرعيته في المطالبة بالعرش بعد وفاة إدوارد المعترف. وقد رشح مجلس الويتان (Witan) (٢٦) هارولد ليصبح ملكاً على إنكلترا، في حين أنه تناسى القسم الذي أده لدوق نورماندي وويليام بمساعدته ليصبح ملكاً على إنكلترا، وحدث ذلك القسم عندما زار هارولد نورماندي، وهناك أقسم يمين الولاء لمساعدة ويليام على أن يخلف إدوارد المعترف على عرش إنكلترا، وقد أخفى ويليام بعض الشهود أثناء تأدية هارولد لذلك القسم ليكونوا شهوداً على هارولد (٢٧).

في حين تذكر رواية أخرى أن سفينة هارولد كانت قد انحرقت عن مسارها على السواحل النورماندية، والقي القبض عليه وأرسل إلى ويليام النورماندي الذي أخذ منه تعهداً وأقسم يميناً بأن يكون تابعه ويعينه في أن يصبح ملكاً على إنكلترا مقابل إطلاق سراحه (٢٨).

وبحسب رأي الباحثة، فإن ذلك القسم لا صحة له، لأن ويليام كان معتاداً على الانتصار بالمكر عندما لا يستطيع فعل ذلك بالوسائل المتاحة، لذلك ابتكر خدعة القسم وادعاه بأن هارولد أقسم له قسمًا رسمياً بأنه سيساعده في اعتلاء عرش إنكلترا بعد وفاة إدوارد المعترف.

بغض النظر عن مدى دقة ذلك الادعاء، فإن ما جرى في تلك المدة من تاريخ إنكلترا يظهر أن النورمانديين لم يكونوا ليغزوا البلاد لولا قناعتهم بحقهم الشرعي في العرش، إذ لم يكن هدفهم مجرد احتلال أو طموح توسعي، بل كان اعتقادهم قائماً على أحقيتهم بملكية العرش بموجب الوعد الذي قطعه هارولد لويليام. ولتأكيد على ذلك الحق، سعى ويليام للحصول على دعم كنسي رسمي من البابا ألكسندر الثاني (Alexander II) (٢٩)، الذي بارك الحملة النورماندية وأضفى عليها الطابع الديني المشروع، كونها أصبحت حرب ويليام تُقدّم باعتبارها قضية عادلة ذات بعد ديني وسياسي معاً (٣٠).

وفي أيلول من عام ١٠٦٦م، نزل النورمانديون على السواحل الإنكليزية عند بيفنسي (Pevensey) الواقعة جنوب لندن على ساحل القناة، وساروا بعدها نحو هاستينغز (Hastings)، حيث أقاموا معسكرهم. وفي تلك الأثناء، كان هارولد قد انتصر في معركته ضد النرويجيين في الشمال قرب جسر ستامفورد، شمال شرق مدينة يورك، غير أن ذلك النصر أضعف قواته وأرهقها، مما اضطره إلى التوجه جنوباً إلى مدينة هاستينغز لمواجهة ويليام الفاتح. وفي الرابع عشر من تشرين الأول عام ١٠٦٦م، دارت بين الطرفين معركة هاستينغز الشهيرة، التي انتهت بانتصار النورمانديين ومقتل هارولد، ليبدأ بذلك عهد جديد في تاريخ إنكلترا يُعرف بالعصور النورماندية (Norman period)، التي تمثل مرحلة مفصلية في تطور النظام السياسي والاجتماعي في البلاد (٣١).

كان للروابط الأسرية بين الملوك والنبلاء في تلك الحقبة أثر كبير في تحديد ملامح السياسة الأوروبية. فزواج أديل أخت الملك فيليب الأول (Philip I) (١٠٥٢-١١٠٨م) (٣٢)، من بلدوين الخامس (Baldwin V) (١١٨٦-١١٨٧م) (٣٣) حاكم مقاطعة فلاندرز، منح النورمانديين سنداً سياسياً مهماً في القارة، فضلاً عن أنه هياً الأرضية للتقارب بين فرنسا وإنكلترا في مراحل لاحقة. ومع ذلك بقي التنافس قائماً بين التاجين الفرنسي والنورماندي حول بسط النفوذ والسيطرة، خصوصاً بعد أن استولى ويليام الفاتح على العرش الإنكليزي، ملكاً يجمع بين سلطتين: سلطة دوق النورمانديين التابعة اسمياً لملك فرنسا، وسلطة ملك إنكلترا المستقلة سياسياً. ولد لاحقاً ذلك الوضع المعقد سلسلة من النزاعات السياسية والعسكرية التي امتدت آثارها، وشكلت إحدى السمات البارزة في تاريخ العلاقات الفرنسية الإنكليزية (٣٤). بعد مقتل هارولد، في معركة هاستينغز عام ١٠٦٦م، التي شكلت نقطة تحول حاسمة في التاريخ الإنكليزي، تمكن ويليام، دوق نورمانديا، من إحراز نصر عسكري واضح مكنه من التقدم نحو العاصمة لندن. وقد مثل ذلك الانتصار بداية لمرحلة جديدة في التاريخ السياسي لإنكلترا، إذ استطاع ويليام أن يفرض سيطرته الفعلية على البلاد، ويعلن نفسه ملكاً على إنكلترا، غير أن نتيجته لم يحصل بصورة تلقائية أو مرضية لجميع الأطراف (٣٥).

واجه الملك ويليام الفاتح معارضة من النبلاء الأنغلوساكسون، الذين رفضوا الاعتراف بشرعيته، الأمر الذي اضطره إلى دعوة مجلس الويتان للانعقاد بغية الحصول على اعتراف رسمي بتتصيبه ملكاً. إلا أن موافقة المجلس لم تكن نابعة من قناعة تامة أو رضا حقيقي، بل كانت نتيجة مباشرة لحالة الخوف والترهيب التي فرضها الملك ويليام بقوة السلاح. على الرغم من ذلك، فقد أدرك الملك الجديد ضرورة ترسيخ سلطته عبر إجراءات إدارية وسياسية متدرجة تهدف إلى ضمان خضوع طبقة النبلاء للنظام الجديد (٣٦).

اعتمد الملك ويليام الفاتح على سياسة مركبة، تقوم على مصادرة أملاك كبار ملاك الأراضي من الأنغلوساكسون ومنحها إلى النبلاء النورمانديين الذين رافقوه في حملته العسكرية، وهو ما أسفر عن تبدل جذري في البنية الاجتماعية والاقتصادية للمجتمع الإنكليزي. وقد أثارت تلك السياسة استياءً واسعاً في الأوساط المحلية، وأدت إلى اندلاع سلسلة من حركات التمرد والمقاومة ضد الحكم النورماندي، كان أبرزها انتفاضة عام ١٠٦٧، التي عمت بعض أقاليم الشمال. واجه الملك ويليام تلك الثورات بصرامة شديدة، واتباع سياسة العقاب الجماعي والتدمير الممنهج للمدن والقرى التي شاركت في التمرد، بغية فرض هيبة السلطة الجديدة وإخماد روح المقاومة. كما اضطره ذلك إلى السفر إلى نورمانديا لمعالجة بعض القضايا الإدارية والعسكرية، قبل أن يعود مجدداً إلى إنكلترا لمتابعة قمع بعض الحركات المناهضة له.

وبفضل حنكته السياسية وحزمه العسكري، تمكن في نهاية المطاف من إحكام السيطرة على البلاد والقضاء على الاضطرابات الداخلية(٣٧).

على الرغم مما شاب مدة حكمه الأولى من توتر وصراعات، فإن الملك ويليام الفاتح استطاع لاحقاً أن يؤسس نظاماً ملكياً قوياً يتميز بالمركزية والانضباط الإداري. فقد عمد إلى تنظيم شؤون المملكة عن طريق وضع أسس دقيقة للحكم والإدارة، وأسس جهازاً بيروقراطياً (Bureaucratic) فاعلاً، يشرف عليه رجال من النورمان، في حين أبعد الأنغلوساكسون تدريجياً عن المناصب العليا في الدولة. فضلاً عن أنه ألزم كبار النبلاء بأداء قسم الولاء المباشر لشخص الملك، في خطوة هدفت إلى ترسيخ سلطة التاج ومنع تكرار الانقسامات الإقطاعية التي كانت سائدة في الحقب السابقة. وقد أسهمت تلك الإجراءات في تثبيت دعائم الحكم النورماندي في إنكلترا، ومهدت لمرحلة من الاستقرار السياسي والإداري، انعكست آثارها على تطور الحياة الاقتصادية والاجتماعية. وهكذا دخلت البلاد حقبة جديدة، تميزت بإعادة بناء مؤسسات الدولة، وفق نموذج أكثر مركزية وتنظيماً، لتبدأ إنكلترا رحلة التحول نحو كيان سياسي موحد يمتلك مقومات الدولة في أوروبا في العصور الوسطى(٣٨).

أسس الفاتح في إنكلترا النظام الإقطاعي (Feudal System)، كما هو المتبع في القارة، أي إن جميع الأراضي، باستثناءات قليلة جداً، قُسمت إلى بارونات (Baronies)، ووُهبَت لأهم أتباعه، شريطة أن يؤديوا خدمات عسكرية معينة، ويدفعوا مدفوعات معينة للتاج. وتقاسم البارونات، الذين تولوا زمام الأمور فوراً، قسم ممتلكاتهم من الأراضي لأفراد آخرين، كان يُطلق عليهم الأتباع (Vassals)، كما كان يُطلق على البارونات أتباع التاج، واولئك أيضاً كانوا يمنحون الأراضي، في كثير من الأحيان، لآخرين من درجة أقل بشروط مماثلة. وهكذا نشأت سلسلة من التبعية عبر الأرض، إذ يدين الأدنى بالخدمة والطاعة للأعلى، بينما كان الأعلى ملزماً بحماية رؤوسيه. وقد يكون الشخص نفسه في وضع تابع من جهة، ولورد (Lord) معين من جهة أخرى، وهكذا كان الملك ويليام نفسه، بصفته دوق نورماندي، تابعاً لملك فرنسا. حتى رجال الدين أُجبروا على دخول النظام الإقطاعي للأراضي التي يمتلكونها، وتوفير الرجال المسلحين للخدمة في الحرب(٣٩).

يعد من أبرز إنجازات الملك ويليام الفاتح إنجاز الإحصاء لسجل الأراضي الشامل، المعروف باسم (Domesday Book)، الذي يعد عملاً رائداً في تاريخ الإدارة والاقتصاد الإنكليزي. إذ قام الملك بإجراء مسح شامل لممتلكات مملكته بهدف جمع معلومات دقيقة عن الأراضي والموارد الزراعية. وقد بدأ ذلك العمل عام ١٠٨٤م، واستمر حتى عام ١٠٨٦م، ليشمل معظم المناطق التابعة للتاج الملكي. واعتمدت عملية المسح على فرق ميدانية قامت بجمع البيانات من المقاطعات، متضمنة أسماء المالكين، وحجم الأراضي والمحاصيل والإيرادات. ويعد كتاب من أفضل السجلات الاقتصادية التي أُنجزت في

العصور الوسطى، لما احتواه من بيانات دقيقة ومتكاملة عن الثروة الزراعية والملكية العقارية في إنكلترا، فضلاً عن ذلك يُعد الإحصاء من أبرز الإنجازات الإدارية في عهد ويليام، إذ مثل خطوة نوعية نحو تطوير نظم الإحصاء والمراقبة المالية في الدولة (٤٠).

وفي السياق نفسه، أسس الملك ويليام الفاتح مجلساً استشارياً عُرف بالمجلس الكبير (Great Council) (٤١)، ضم كبار النبلاء ورجال الدين، وكانت مهمته الأساسية تقديم المشورة للملك في القضايا الكبرى، ولاسيما تلك المتعلقة بإدارة الإقطاعيات وفرض الضرائب. ومع مرور الوقت تطور ذلك المجلس ليشكل نواة لما عُرف لاحقاً بمجلس الملك الخاص (Privy Council) (٤٢)، الذي تولى الإشراف على الشؤون الإدارية والمالية والسياسية للبلاد. بناءً على ذلك، أدى ذلك التطور المؤسسي إلى نشوء توازن تدريجي بين السلطة الملكية والطبقة الإقطاعية، إذ احتفظ الملك بالاختصاصات التنفيذية الأساسية، في حين اتجه المجلس الكبير نحو ممارسة دور استشاري وتشريعي محدود، مهد لاحقاً لظهور البرلمان الإنكليزي (English Parliament)، بوصفه مؤسسة تشريعية تعبر عن الإرادة السياسية للنبلاء، ثم لمختلف فئات المجتمع في العصور اللاحقة (٤٣).

شهدت إنكلترا في العصور الوسطى صراعاً معقداً بين السلطة الملكية والمؤسسات الدينية والسياسية، تمحور حول مسألة الصلاحيات التنفيذية والقضائية وحقوق فرض الضرائب. منذ الفتح النورماندي امتدت سلطة الملك ويليام الفاتح إلى مختلف مفاصل الدولة، فاستند في إدارته شؤون الدولة إلى رجال الدين والنبلاء النورمانديين، وأسند إليهم أهم المناصب الإدارية والقضائية، ساعياً من وراء ذلك إلى ترسيخ شرعية حكمه عبر الدمج بين سلطة الملك والتشريع الديني. وعلى الرغم من تبنيه شعارات دينية منحته غطاءً شرعياً، فإن الملك ويليام الفاتح حرص على إحكام سيطرته على الكنيسة من خلال فصل القضاء الكنسي (Ecclesiastical Courts) عن المدني، وجعل المؤسسات الدينية تابعة لسلطته، مما أثار اعتراض رجال الدين الذين رأوا في ذلك تعدياً على امتيازاتهم البابوية (٤٤).

ومع مرور الزمن ترك الاحتلال النورماندي أثراً عميقاً في البنية السياسية والاجتماعية لإنكلترا، إذ أصبح النظام الإداري والقضائي متأثراً بالعادات النورماندية، واستقر رجالهم في مفاصل الدولة ومؤسساتها، وبذلك تحولت الكنيسة والهيئات القضائية إلى أدوات بيد السلطة الملكية، في حين تولى النورمانديون معظم المناصب الحكومية العليا (٤٥).

وقد انعكس ذلك الوضع على علاقة الملك بالكنيسة، إذ دخل الملك ويليام وخلفاؤه في نزاعات متكررة مع البابوية (Papacy)، كان أبرزها رفض الملك ويليام السماح بإرسال المبعوثين البابويين (Papal Legates) إلى إنكلترا من دون إذن مسبق منه، وامتناعه عن تنفيذ قراراتهم ما لم تُعرض على

التاج. ومن هنا نشأ صراع طويل الأمد بين السلطة الملكية التي سعت لتأكيد سيادتها الداخلية والخارجية، وبين الكنيسة التي طالبت بالاستقلال الروحي والسلطة المعنوية على المجتمع الإنكليزي (٤٦).

اتسمت العلاقة بين الملك ويليام الفاتح والملك الفرنسي فيليب الأول بالتعقيد والتشابك؛ إذ طغى عليها طابع التنافس السياسي أكثر من التبعية الشكلية، على الرغم من أن الملك ويليام كان يحمل لقب دوق نورماندي ويُعد من الناحية الإقطاعية تابعًا للملك الفرنسي، إلا أنه بعد فتحه لإنكلترا عام ١٠٦٦م أصبح في موقع يفوق مكانة سيده الأسمى، إذ غدا ملكًا على مملكة أقوى وأغنى من فرنسا نفسها. ذلك التحول في موازين القوى أثار توترًا سياسيًا بين الطرفين، وأفقد العلاقة التقليدية بين الدوق والملك معناها القديم، لتتحول إلى علاقة ندية يسعى فيها كل منهما إلى تثبيت نفوذه وتوسيع سلطاته ضمن الإطار الأوروبي العام في القرن الحادي عشر (٤٧).

شهد عهد الملك ويليام الفاتح جملة من التحديات الخارجية التي مثلت اختبارًا حقيقيًا لسلطته في إنكلترا، ومن أبرزها محاولات الغزو التي قام بها الملك الدنماركي كنوت الرابع (Cnute IV) (٤٨). ففي عام ١٠٨٥م شرع كنوت في إعداد حملة بحرية واسعة النطاق استهدفت السواحل الإنكليزية، مدعيًا أحقيته بالعرش الإنكليزي. إلا أن اضطرابات داخلية في الدنمارك حالت دون تنفيذ خطته، إذ اندلع تمرد قاده عدد من الفلاحين انتهى بمقتله عام ١٠٨٦م. وقد أثارت تلك التطورات مخاوف الملك ويليام الفاتح من العناصر الدنماركية المقيمة في بلاد الإنكليز، فبادر إلى مراقبة المنفيين والمرتبطين بعلاقات مع الدنمارك داخل المملكة خشية تكرار محاولات التدخل الخارجي (٤٩).

تميز عهد الملك ويليام الفاتح بعدد من السمات التي أثرت بوضوح في استقرار مملكته، وكان من أبرزها الصراع المتجدد مع الملك الفرنسي فيليب الأول الذي لم يهدأ طوال مدة حكمه. وقد بلغت الخلافات بين الطرفين ذروتها في السنوات الأخيرة من حياة ويليام، إذ أثارت قوته العسكرية ونفوذه الواسع حفيظة الملك الفرنسي، فقرر الأخير مواجهته ميدانيًا (٥٠).

قاد الملك ويليام الفاتح في أواخر شهر تموز عام ١٠٨٧م، حملة عسكرية ضخمة نحو أراضي فرنسا، متبعًا طريق نهر السين حتى وصل إلى مشارف باريس، إذ أقدم على إحراق المزارع والحقول الواقعة على امتداد الطريق حتى مدينة روان (Rouen) الواقعة على نهر السين. وبعد دخوله مدينة مانش (Le Mans) الواقعة على مصب نهر اللوار، أمر بإحراقها، فاشتعلت فيها النيران وامتدت إلى الكنائس والمنازل والمتاجر، مما أدى إلى تدمير أجزاء كبيرة من المدينة. وأثناء إشرافه على سير المعركة سقط الملك ويليام من على جواده، فأصيب بجروح خطيرة. وعلى الرغم من محاولات أطبائه لعلاج، فإن إصابته كانت بالغة، فاستدعي إليه القساوسة لإقامة الطقوس الأخيرة (٥١).

باءت جميع محاولات الأطباء لعلاج الملك ويليام بالفشل، فبقي يعاني لأسابيع من الألم الشديد إلى أن تُوفي في أيلول عام ١٠٨٧م. وبعد وفاته نُقل جثمانه إلى دير سان ستيفن (Saint-Étienne Abbey) في روان، بحضور عدد من رجال الدين وأفراد أسرته. وهكذا اختتم الملك ويليام الفاتح مسيرة امتدت نحو عقدين من الزمن، كانت حافلة بالصراعات العسكرية والسياسية التي أسست لمرحلة جديدة في تاريخ إنكلترا والنورمان (٥٢).

يُعدّ عهد الملك ويليام الفاتح من أهم المنعطفات التاريخية التي شكّلت وجه إنكلترا وأوروبا الحديثة، إذ إنه لم يكن مجرد غزو عسكري، بل عملية إعادة هيكلة شاملة للدولة والمجتمع، إذ نجح الملك ويليام في تحويل إنكلترا من ملكية أنكلو-سكسونية مفككة إلى واحدة من أكثر الملكيات مركزية في أوروبا، فضلاً عن قيامه بقطع صلة إنكلترا بالعالم الإسكندنافي الفايكنج وربط مصيرها ثقافياً وسياسياً بفرنسا وأوروبا القارية، فضلاً عن خلق هوية إنكليزية جديدة تمزج بين الجذور السكسونية والتنظيم النورماندي، إذ استطاع إنهاء عصر العزلة البريطانية وربطها بقلب أوروبا، ذلك التحول جعل إنكلترا لاعباً أساسياً في السياسة الأوروبية بدلاً من أن تكون جزيرة معزولة.

المحور الرابع: الملامح الثقافية في إنكلترا:

أ- المتغيرات اللغوية وأثرها التاريخي

كانت اللغة اللاتينية هي اللغة السائدة في القرن الثاني عشر، فضلاً عن أنها اللغة العالمية آنذاك، فلم تقتصر وظيفتها على كونها أداة للدبلوماسية والتفاهم بين الدول فحسب، بل تغلغت في النسيج الاجتماعي لدول غرب أوروبا، مستخدمة في المحافل العامة والمناسبات الخاصة على حد سواء، ويبقى المؤشر الأهم لمكانتها هو استمرارها كلغة معتمدة لطبقة المثقفين والكتاب ورجال الدين في شتى بقاع الغرب الأوروبي (٥٣).

تجلّت المكانة المركزية للغة اللاتينية في النسيج الثقافي لأوروبا في العصور الوسطى، إذ لم تقتصر وظيفتها على أداة وصل بين رجال الدين والعامة في مختلف الأقاليم، بل كانت اللغة المهيمنة في الصلوات والتراتيل الكنسية، كما كانت هي اللغة المتصدّرة في حقل التعليم، وأصبحت لغة التدريس الأساسية، ولم يقف نفوذها عند حدود الدين والعلم، بل امتد ليشمل مؤسسات الدولة لتدوين القوانين والتشريعات وإدارة الشؤون القضائية (٥٤).

ومع التحول المفصلي الذي شهده عام ١٠٦٦م بوصول النورمان، لم تعد الإنكليزية هي اللغة الوحيدة السائدة، بل تعرّضت لموجات من التأثيرات اللغوية المتباينة التي أثّرت على بنيتها، وشكّلت فيما بعد مرجعاً أساسياً لتتبع التطور التاريخي للأدب الإنكليزي، ويُعزى ذلك التحول الجذري إلى المدّ

النورماندي القادم من فرنسا، والذي أرسى قواعد عهد جديدة في تاريخ الجزيرة البريطانية منذ منتصف القرن الحادي عشر (٥٥).

فمنذ اللحظات الأولى للغزو النورماندي، نُقلت اللغة الفرنسية إلى الأراضي الإنكليزية لتقرض هيمنتها على أروقة المحاكم القانونية، وداخل البلاط الملكي، وبين أوساط النخبة من أصحاب المناصب العليا في الكنيسة والدولة، وصولاً إلى طبقة النبلاء والمحاربين (٥٦).

لم يكن النورمان غرباء تمامًا عن تلك اللغة، فقد استوطنوا نورماندي قادمين من أصول إسكندنافية، وتشربوا الفرنسية تدريجيًا عبر الاختلاط بالسكان الأصليين والمصاهرة معهم، ومع مرور الوقت نشأ جيل جديد من الأبناء الذين تلقوا لغتهم عن أمهاتهم الفرنسيات وآبائهم النورمان، مما عمق من جذور تلك اللغة في النسيج الاجتماعي الجديد (٥٧).

كانت السيادة النورماندية طاغية في شتى مناحي الحياة، ففي القلاع والبيادين، وفي مجالس الحكم، وحتى في أوقات الصيد واللهو، لم تكن سوى الفرنسية لغة التواصل بين السادة، ذلك الواقع أدى إلى وأد أي تطلع لتطور الحياة الإنكليزية على أسس أنكلو-سكسونية خالصة، كما بدد احتمالات اندماج إنكلترا ضمن إمبراطورية إسكندنافية شمالية، وبدلاً من ذلك دفع الفتح النورماندي إنكلترا نحو الحضارة اللاتينية مجددًا بعد أن كانت قد ابتعدت عنها منذ القرن الخامس الميلادي، والأهم من ذلك أن الفتح جعل من إنكلترا شريكًا أصيلًا في إرث الحضارة الرومانية، سواء في فقهها وعمارتها وأدبها أو نظمها الاجتماعية والسياسية، وعلى الرغم من محاولات النورمان احتواء أنماط الحياة والعادات السكسونية، إلا أن الفجوة اللغوية بقيت قائمة كعنصر تمايز طبقي، في حين كانت لغة النورمان هي السائدة في مفاصل الدولة. انحسرت اللغة الأنكلو-سكسونية لتصبح لغة الطبقات الكادحة والفقيرة من الشعب الإنكليزي (٥٨).

شهدت المرحلة التي تلت الغزو النورماندي تحولاً جذرياً في المشهد السياسي، إذ اندمجت إنكلترا ودوقية نورماندي في كيان سياسي واحد عابر للقناة الإنكليزية، ولم يعد بحر المانش عائقًا، بل صار جسرًا يربط بين أملاك الطبقة الأرستقراطية النورماندية التي بسطت نفوذها على ضفتي القناة، مما أدى إلى تداخل عميق في المصالح والسياسات، فدوق نورماندي الذي أصبح ملكًا على إنكلترا بقي في الوقت ذاته تابعًا للتاج الفرنسي من الناحية الإقطاعية، مما جعل السياسة الإنكليزية تدور في فلك الشؤون الفرنسية بشكل غير مسبوق (٥٩).

وبعد الفتح النورماندي لإنكلترا، تكونت هناك ثلاث لغات مختلفة في إنكلترا؛ الأولى هي اللغة الفرنسية (النورماندية) لغة الغزاة والنخبة الحاكمة، وصارت رمزًا للتحضر والرقي الاجتماعي، فكان اقتناؤها دليلاً على الانتماء للطبقة الأرستقراطية، والثانية هي اللغة اللاتينية، والتي بقيت لغة العلم

والتدوين الرسمي والطقوس الكنسية والقضاء، أما اللغة الثالثة فكانت الإنكليزية القديمة التي انحسرت لتصبح لغة الطبقات الشعبية الكادحة (٦٠).

لم يقتصر التأثير على السياسة واللغة، بل امتد ليشمل الهوية الاجتماعية، ويستدل المؤرخون على ذلك بالتغير السريع في أنماط التسمية، ففي غضون مدة من الزمن انتقلت نسبة الأسماء الفرنسية مثل (ويليام وروبرت وريتشارد) بين ملاك العقارات في وينشستر من أقل من (٣٠%) عام ١٠٦٦م إلى أكثر من (٨٠%) بحلول عام ١٢٠٧م، وهو مؤشر على الرغبة في التباهي مع الطبقة الحاكمة، وقد تجلّى التفوق النورماندي في المجالات الإبداعية، لاسيما فنون الموسيقى والأدب، وبالأخص في العمارة الكنسية التي تبنت الأنماط الأوروبية، مما جعل إنكلترا جزءاً لا يتجزأ من النسيج الثقافي الأوروبي العام، وأخرجها من عزلتها الأنكلوسكسونية إلى رحاب العالمية الفرنسية التي كانت تهيمن على المشهد الحضاري آنذاك (٦١).

في المقابل، بقي الفلاحون في الأرياف الإنكليزية متمسكين بلهجاتهم المحلية التي تمايزت عن لغة الطبقة السائدة، وعلى الرغم من أنّ اللغة الإنكليزية فقدت في تلك المرحلة الكثير من قواعدها النحوية الأصلية، إلّا أنّها اغتنت بروافد معجمية ضخمة من الفرنسية، وقد شمل ذلك الاقتراض اللغوي مفاهيم ومصطلحات شتى مست جوانب الشؤون العسكرية والسياسية والقضاء والإدارة والقانون، وبذلك نجد أن اللغة الإنكليزية لم تكن مجرد أداة للتواصل، بل كانت وعاءً لصهر حضاري جمع بين موروث الأنكلوسكسوني ونظام النورمان الإداري، وهكذا أصبحت اللغة الفرنسية هي اللغة الأساسية في إنكلترا، ولكن بعد مدة أصبحت لغة الكتابة هي الإنكليزية (٦٢).

ب- الأدب

شجّع الملوك والأمراء النورمان على العلم ودراسة الأدب، وقد أولوا اهتماماً كبيراً بالأدب في إنكلترا، إذ تم جمع أعمال ويليام سالسبوري (William Salisbury)، وهو من أهم الشخصيات الثقافية في إنكلترا، وكان يُعدّ أعظم رجال عصره لما كانت تتصف به كتاباته من رومانسية، فضلاً عن تشجيعهم للدراسة وإقامة المدارس في البلاد لدراسة العلوم واللغة اللاتينية (٦٣).

تشير المصادر التاريخية إلى ملامح مبكرة من التنظيم التعليمي في مدينة كامبريدج (Cambridge)، إذ لم يقتصر الأمر على تشييد المدارس المخصصة للعلوم واللغة اللاتينية، بل امتد ليشمل منهجية تدريبية منضبطة، في حين أن طلبة السنة الأولى كانوا يتلقون دروسهم مجتمعين في قاعة كبرى، بينما يتوزع طلبة السنة الثانية على غرف تخصصية يتفرد فيها كل أستاذ بطلبته (٦٤).

كان الجدول اليومي حينذاك يعكس صرامة المنهج المدرسي، إذ تبدأ الحصص في الصباح الباكر بدراسة علوم اللسان (الصرف والنحو)، تليها في الساعة السادسة دراسة المنطق والفلسفة الأرسطية، وعند

التاسعة ينتقل الطلبة إلى تفسيرات الفلسفة وصولاً إلى منتصف النهار، إذ تُدرس النصوص المقدسة مع شروحها، ومن الملاحظ في تلك الحقبة إحلال الأشعار السكسونية محل النصوص التقليدية في بعض الدروس، مع التركيز على شرح سير الأبطال التاريخيين الذين جسدوا قيم الفروسية مثل الإسكندر الأكبر وآرثر وشارلمان (٦٥).

شهد القرن الثاني عشر تحولاً جذرياً في المشهد الأدبي المحلي، إذ لم تقتصر آثاره على الحركات الثقافية فحسب، بل امتدت لتصوغ ملامح الحياة الاجتماعية آنذاك، وقد أدى الأدب الناشئ دوراً محورياً في بلورة مفهوم الملكيات الوطنية، إذ بدأت اللغات الدارجة تحجز لنفسها مكاناً ثابتاً في نسيج المجتمع الأوروبي (٦٦).

ت- الفنون

لقد أحدث الفتح النورماندي إنكلترا تطوراً كبيراً في فن العمارة، لاسيما في الكنائس والقلاع والمنازل التي كانت أغلبها من الخشب، ومع حلول القرن الحادي عشر الميلادي شرع المعمارون الإنكليز في تشييد قباب الكنائس وفق المخطط الدائري محاكاةً للنماذج الرومانية القديمة في غرب أوروبا، مع تأثر ملحوظ بالمدارس الفنية الإيطالية، وإن ذلك الأسلوب الزخرفي كان أكثر التصاقاً بالمباني في جنوب شرقي فرنسا منه بمباني نورماندي ذاتها، وقد بدأ تزيين الواجهات الداخلية للمباني (٦٧).

بلغت العمارة النورماندية ذروتها في عهد الملك ويليام الفاتح، إذ اتسمت بأسلوب فني رفيع، في حين أن جميع المباني التي قامت في إنكلترا أثناء الفتح النورماندي تعود للطراز النورماندي الفرنسي، فضلاً عن أن الصناع والبنّائين النورمانديين قد أسهموا بأفكارهم المعمارية في تطور الأبنية، ومع نهاية القرن الحادي عشر بدأ الطراز النورماندي ينتشر في إنكلترا، ومع حلول القرن الثاني عشر أصبحت المباني سميكة وقليلة الارتفاع، فضلاً عن استعمال الأحجار في البناء، وانتشر الطراز الجديد لبناء المنازل والمباني، وعلى الرغم من أن الكنائس التي كانت تُبنى في إنكلترا كانت تحتوي على عناصر إنكليزية معروفة، إلا أن التصميمات كانت تأتي من الخارج من إيطاليا وصقلية والدولة البيزنطية (٦٨).

يجمع مؤرخو العمارة والآثار على أن الطفرة الإنشائية التي شهدتها إنكلترا في أعقاب الفتح النورماندي تمثل العصر الذهبي لذلك الطراز، وتعد كاتدرائية سانت أوليتز (Sanit Olitz) المشيدة بين عامي (١٠٧٧-١٠٨٨م) أنموذجاً حياً لتلك الحقبة، إذ تعكس أجزاءها المتبقية، لاسيما شرفة المرنمين والفضاء الواقع أسفل البرج، جوهر التصميم النورماندي الأصيل الذي وضعه بول الكانلي، أول رئيس نورماندي لدير سانت أوليتز، على الرغم مما طرأ عليها من ترميمات لاحقة (٦٩).

لم تكن العمارة النورماندية في إنكلترا مجرد نقل حرفي للأنماط الفرنسية، بل كانت نتاج تفاعلات حضارية معقدة، كما تظهر الأدلة الأثرية تأثيراً واضحاً بروح العمارة اللومباردية وبعض التقاليد الجرمانية

التي تجلت بوضوح في تقنيات تغطية السقوف بالقبب المضلعة عام ١١٠٣م، وهي السمة الإنشائية التي مهدت الطريق لاحقاً لظهور العمارة القوطية (Gothic Architecture) (٧٠).

وتبقى كاتدرائية دورهام (Durham Cathedral) التي شرع في تشييدها الأسقف كارليف عام ١٠٩٣م الشاهد الأسمى على عبقرية العمارة الكنسية النورماندية في تجسيد القوة الفنية والمتانة الإنشائية، وتعد مختبراً حقيقياً تطورت فيه العناصر المعمارية التي ميزت ذلك العصر (٧١).

ومع ذلك، يبقى التأثير الفرنسي هو الأقوى والأكثر مباشرة في ذلك السياق، ويبرز جلياً في استقدام المعماري الفرنسي الشهير ويليام السنسي (William of Sens) (١١١٠-١١٨٠م) الذي أسندت إليه مهمة إعادة تشييد كاتدرائية كانتربري عام ١١٧٤م في أعقاب الحريق الذي تعرضت له، أما على صعيد التطور الطرازي فقد شهد عهد الملك هنري الثاني طفرة نوعية، إذ أدخلت عناصر تجديدية على الأنماط الإنكليزية، وتبلورت فيما يعرف بـ(الأسلوب الأنجيفي الرومانسكي) (Angevin Romanesque)، وقد امتاز ذلك الطراز بخصائص فنية فريدة منحت طابعاً خاصاً وهوية متميزة واضحة في سجل الفنون بإنكلترا (٧٢).

المحور الخامس: خلافة أبناء الملك ويليام الفاتح وتقسيم المملكة:

بعد وفاة الملك ويليام الفاتح عام ١٠٨٧م، شهدت إنكلترا مرحلة انتقالية جديدة على إثر تنافس أبنائه على العرش، إذ أوصى الأخير رئيس أساقفته لانفرانك (Lanfranc) (١٠١٠-١٠٨٩م) (٧٣) بأن يتولى العرش من بعده ابنه الأصغر ويليام الثاني (William II) (١٠٥٧-١١٠٠م) (٧٤) في حين أوصى بدوقية نورماندي إلى الابن الأكبر روبرت كورتوس (Robert Curthose) (١٠٥١-١١٣٤م) (٧٥)، أما الابن الثالث هنري الأول فقد منحه بعض المال، وقد اتسمت تلك المرحلة بصراع داخلي بين الأخوين ويليام الثاني وروبرت كورتوس، تغذية الطموحات السياسية والرغبة في السيطرة على ممتلكات العائلة في إنكلترا ونورماندي على حد سواء، مما ألقى بظلاله على استقرار المملكة، وأدى إلى اضطرابات متكررة في بدايات حكم الملك ويليام الثاني (٧٦).

وبحسب رأي الباحثة أن الملك ويليام الفاتح كان يسعى من وراء ذلك التقسيم إلى الحفاظ على الممتلكات التي كانت تحت حكمه، فدوقية نورماندي التي ورثها من سلفه عدها من التراث العائلي، فتسليمها لابنه الأكبر روبرت كان امتثالاً للتقليد، فضلاً عن أن المملكة الإنكليزية التي اكتسبها الملك ويليام الفاتح بعد الغزو كانت نوعاً من أملاك الغنيمة أو الأرض المفتوحة حديثاً، لذا سلمها لويليام الثاني كونه الوريث المتوقع لملك إنكلترا، كما يبدو أن الملك ويليام الفاتح رأى الابن الثاني ويليام روفوس كان الأنسب لحكم إنكلترا في نظره، أو الأقل إثارة للمشاكل مقارنة بـروبرت الأكبر الذي كان موضع ثورة وتمرد ضد أبيه، بالمقابل الابن الثالث هنري كان أصغر سناً، وربما لم

يُعدّ نفسه بعد لتولي سلطة كبرى، فاختر له مكافأة مالية بدلا من حكم مباشر، ذلك يعكس أن الملك ويليام لم يرد، أو لم يُمكن هنري من حكم فوري، بل أعطاه مالا ربما للاعتماد على نفسه أو تأمين موقعه المالي والاجتماعي بدلا من سلطة إدارية كبيرة، من جهة أخرى، بمرور الزمن أصبح ممكنا أن يستحوذ على السلطة بعد ويليام الثاني، كان ذلك تقسيم الميراث ليس فقط الترتيب الأبوي، لكن تقسيم الأب لأبنائه للسياق السياسي وأمن الدولة.

١ - الملك ويليام الثاني (١٠٨٧-١١٠٠م):

تُوّج روبرت دوق نورماندي ملكا على إنكلترا، في حين تُوّج شقيقه ويليام ملكا على نورماندي، وقد أثار ذلك الانقسام بين الأخوين صراعا حادا بين النبلاء الإنكليز الذين انقسموا في ولائهم، إذ فضّل معظمهم الأخ الأكبر روبرت لما عُرف عنه من شجاعة وكرم، غير أنّ ضعف شخصيته وسهولة انقياده جعلاهم يعيدون النظر في موقفهم، لاسيما بعد أنّ أظهر ويليام حزما وقوة في إنكلترا. لذلك اشتعل النزاع بين الطرفين عام ١٠٨٨م، غير أنّ النزاع لم يدم طويلا، إذ سرعان ما تمكن ويليام من إحكام سلطته، وانتهت المواجهات العسكرية بانتصاره وتوطيد حكمه^(٧٧).

أما علاقته بالكنيسة فكانت معقدة منذ البداية، إذ تميزت حقبة حكمه الأولى بصراع متواصل بينه وبين رجال الدين، ولاسيما بعد وفاة رئيس الأساقفة لانفرانك عام ١٠٨٩م، لم يُعيّن شخص يحل محله، بل ترك أسقفية كانتربري في إنكلترا من دون رئيس أساقفة لمدة أربع سنوات، وكان هدفه من ذلك رجوع إيرادات الكنيسة إليه^(٧٨).

الأمر الذي أفسح المجال لنزاع طويل بين الملك والكرسي الكنسي حول حق التعيين في المناصب الكنسية، غير أنّ المرض الذي أصيب به الملك ويليام الثاني جعله يتراجع عن موقفه، وقام بتعيين القديس أنسلم (Anselm) (١٠٣٣-١١٠٩م)^(٧٩) رئيسا لأساقفة كانتربري في إنكلترا عام ١٠٩٣م ليكفّر عن خطايه، وهو من الشخصيات ذات المكانة المرموقة في الكنيسة الغربية، ومع أنّ الملك بحاجة إلى دعم الكنيسة، فإنّه لم يتردد في تحدي سلطتها ومصادرة بعض ممتلكاتها، مما أدى إلى توتر دائم بين الطرفين، وصل في بعض الأحيان إلى القطيعة التامة^(٨٠).

بيد أنّ الملك ويليام الثاني عاد إلى أسلوبه السابق نفسه بعد شفائه من مرضه، إذ بدأ النزاع مجددا بينه وبين رئيس الأساقفة أنسلم، لأنّه أخذ يطالب الكنيسة بالأموال التي كان بحاجة إليها لتمويل جيشه في حربه مع ويلز، فضلا عن حاجته إلى الأموال لإمداد حروب أخيه روبرت في حملته الصليبية الأولى (First Crusade)^(٨١) عام ١٠٩٥م، لأنّه قام برهن نورماندي للحصول على الأموال الإضافية، ازداد النزاع بين الملك ويليام الثاني ورئيس الأساقفة أنسلم عندما أراد السفر إلى روما للحصول على شارة الاعتراف البابوي الرسمي ليقّله البابا وظيفته الجديدة، ومن هنا بدأ الصراع ما بين الملك والكنيسة، إذ قام

الملك ويليام الثاني بتوجيه إنذار له، في حالة مغادرته إلى روما فإنه لا يسمح له بالعودة مرة ثانية إلى إنكلترا^(٨٢).

وفعلا ترك أنسلم منصبه في عام ١٠٩٧م، ولم يبق بأي محاولة للعودة إلى إنكلترا طوال حقبة حكم الملك ويليام الثاني. وخلاصة القول إن الملك ويليام الثاني ملك إنكلترا لم يُبد أي اهتمام ملحوظ بالدعوة التي أطلقها البابا أوربان الثاني (Urban II) (١٠٣٥-١٠٩٩م)^(٨٣) لشن الحملة الصليبية الأولى عام ١٠٩٥م، وكان منشغلا بتوطيد أركان حكمه ومعالجة القضايا الداخلية في مملكته، لاسيما النزاعات مع النبلاء، ومن ذلك المنطلق لم يشارك الملك ويليام في الحملة، بل رأى فيها فرصة لتحقيق مكاسب مادية وسياسية، إذ عمد إلى شراء الإقطاعات والأراضي التي باعها النبلاء الراغبون في التوجه إلى الشرق، مما عزز من سلطته ونفوذه في إنكلترا^(٨٤).

استغل الملك ويليام الثاني غياب عدد من النبلاء عن البلاد في الحملة لتقوية مركزه الملكي، وإعادة فرض سيطرته على المناطق التي كانت موضع نزاع، ومع حلول عام ١٠٩٧م طلب شقيقه روبرت دوق نورماندي، الذي كان أحد المشاركين في الحملة، قرضا ماليا من الملك ويليام الثاني مقابل رهن دوقيته نورماندي، فاستجاب الأخير لذلك الطلب، وقد مثلت تلك الصفقة خطوة مهمة مكنت الملك ويليام الثاني من توسيع سلطاته إلى الأراضي النورماندية، مما يعكس ذكاءه السياسي في توظيف الحملة الصليبية لخدمة أهدافه الداخلية والإقليمية، لم يحقق الملك ويليام الثاني إنجازات تُذكر خلال حقبة حكمه، إذ اتسم عهده بالاضطرابات والصراعات الداخلية، إلى أن انتهى باغتياله أثناء رحلة الصيد عام ١١٠٠م، بعد أن حكم إنكلترا لمدة ثلاثة عشر عاما. وفي السياق ذاته، اتُّهم شقيقه الملك هنري الأول بأنه دبر الحادثة طمعا في العرش، لاسيما أنه الشخص الوحيد الذي سارع لتسلم مقاليد الحكم فور وفاة أخيه، معلنا نفسه ملكا من دون انتظار أي تحقيق رسمي في الواقعة^(٨٥).

يمكن القول إنَّ عهد الملك ويليام الثاني كان تجسيدا للصراع بين كفاءة الإدارة السياسية واصطدام القيم الدينية، فرغم الصورة القاتمة التي رسمها له مؤرخو الكنيسة كملك جشع ومستبد، إلا أن القراءة المتأنية لعهد تكشف عن حاكم قوي استطاع ببراعة عسكرية واقتصادية الحفاظ على وحدة الممالك النورماندية في وقت عصيب. لقد كان الملك ويليام الثاني ملكا آمن بالقوة واقعا، وبالمال وسيلة، وحينما انتهى عهده بموته الغامض في الغابة الجديدة، إلا أنه ترك لشقيقه هنري الأول مملكة مستقرة الحدود وقوية الأركان، ليبقى التاريخ يذكره كأحد أكثر ملوك إنكلترا إثارة للجدل والغموض.

٢- الملك هنري الأول (١١٠٠-١١٣٥م):

بعد وفاة الملك ويليام الثاني عام ١١٠٠م من دون ترك وريث أو وصية رسمية تتعلق بمن يخلفه على عرش إنكلترا، برز هنري الأخ الأصغر كوريث رسمي عملي وسريع لتولي الحكم، ولاسيما أنَّ أخيه

الأكبر روبرت كان منشغلا بالمشاركة في الحملة الصليبية الأولى، ذلك الغياب أتاح لهنري فرصة الاستيلاء على الحكم من دون منازع، فبادر إلى اعتلاء العرش مباشرة مستندا إلى دعم بعض النبلاء الذين خشوا من الفوضى التي قد تنشأ في ظل غياب سلطة واضحة، وكان تولي هنري العرش نتيجة ظروف سياسية مؤقتة^(٨٦).

كان من حسن حظه أن شقيقه الأكبر روبرت دوق نورماندي كان يفتقر إلى القوة اللازمة للاحتفاظ بالإرث القاري الذي تركه له الملك ويليام الفاتح بعد أربعين عاما من معركة هاستينغز، قلب هنري الأول مجرى التاريخ، واستعاد نورماندي من أخيه، وبذلك أعاد توحيد أراضي الملك ويليام الفاتح، كان الملك هنري الأول ملكا عظيما، أطلق عليه رعيته لقب هنري بوكليرك (Henry Beauclerc) لأنه كان عالما بارعا، وكذلك أطلق عليه لقب أسد العدل، وذلك بسبب الإصلاحات التي قام بها في المملكة^(٨٧).

تزوج الملك هنري الأول من الأميرة الإنكليزية إديث (Edith)^(٨٨) مالكولم، المنتمية إلى أسرة نبيلة من بيت كليير، وقد أطلق عليها لاحقا اسم ماتيلدا، بهدف كسب رضا النورمانديين، إذ كان يُنظر إلى اسمها الأول على أنه ذو جذور أنغلو ساكسونية، وقد مثل ذلك الزواج خطوة سياسية مدروسة، إذ سعى الملك هنري من خلاله إلى توطيد علاقات المصاهرة مع إحدى أعرق الأسر الإنكليزية، مما منح حكمه دعامة شرعية إضافية في نظر النبلاء ورجال الكنيسة، ومع ذلك فقد عدّ بعض النورمانديين ذلك الإجراء تنازلا غير مبرر عن الامتيازات النورماندية التقليدية، مما أثار شيئا من التذمر بين صفوفهم عند تنصيب الملك هنري ملكا على إنكلترا^(٨٩).

دخل حكم الملك هنري الأول مرحلة جديدة من الصراع بين السلطة الملكية والكنيسة، إذ إن اشتداد نفوذ رجال الدين وتنامي دورهم السياسي أدّى إلى توترات متكررة، فعندما تُوج الملك هنري الأول على العرش الإنكليزي، دعا أنسلم أسقف كانتربري المنفي للعودة إلى إنكلترا، وقد أسهمت عودته في إثارة قضية التعيينات الكنسية مجددا، وتمحور الخلاف حول ما إذا كان للملك الحق في منح المناصب الدينية، أم أن ذلك من صلاحيات الكنيسة وحدها، وقد بلغ الصراع ذروته في عام ١١٠٣م حين أصر الملك هنري الأول على الاحتفاظ بحقوقه الملكية في تعيين الأساقفة ومنحهم رموز السلطة الزمنية، في حين تمسك رجال الكنيسة بمبدأ استقلال المؤسسة الدينية عن تدخلات الملكية، وعلى الرغم من حدة الخلاف فقد انتهى الأمر إلى تسوية سياسية ضمنية ضمنت للملك استمرار نفوذه، مقابل تأكيد رجال الكنيسة على الطاعة والولاء للعرش الإنكليزي^(٩٠).

سعى الملك هنري الأول إلى تهدئة الأزمة مع الكنيسة عبر عرض الصراع على البابا باسكال الثاني (Paschal II)^(٩١) في محاولة لإيجاد حل يضمن الحفاظ على هيبة العرش من دون الإضرار بالمصالح الكنسية، وقد اتسمت سياسة الملك هنري في تلك المرحلة بالالتزان والحذر، إذ أثر التريث

وكسب الوقت إلى أن تتضح موازين القوى السياسية في إنكلترا وأوروبا، وكان الهدف من ذلك تقليص حدة الصراع مع رجال الكنيسة، ريثما يعود الاستقرار بعد حقب الاضطراب الناجمة عن الحروب مع أخيه روبرت دوق نورماندي، وكذلك صدّ التهديدات الفرنسية المتزايدة من جانب الملك الفرنسي لويس السادس (Louis VI)^(٩٢) وعلى الرغم من ذلك لم يكن تردد الملك هنري الأول ناتجا عن ضعف في سلطته أو رغبة في التنازل، بل عن حرصه على عدم المساس بالمبدأ الملكي القائم على حق الملوك الإلهي في الحكم، ورفضه لتدخل بابوي ينقص من هيبة التاج، وقد عبّر الملك هنري عن موقفه ذلك في رسالة إلى البابا أكد فيها على تمسكه بحقوقه الملكية وعدم استعداده للتنازل عنها ولو على حساب حياته، قائلا: «إن قوانين وتقاليد المملكة سوف لا تتلاشى أبدا طيلة حياتي، وحتى إذا ما خضعت نفسي لذلك الإذلال، فإن الرب يمنعي من ذلك، وعدم سماح بارونات وشعب المملكة بذلك»^(٩٣).

وفي ذروة ذلك الصراع، أدت الأميرة أديلا المدعوة ماتيلدا، شقيقة الملك هنري الأول، دورا بارزا في التوسط بين الطرفين، مما أسفر عن اتفاق عُرف باسم اتفاقية بك (Bec) عام ١١٠٦م، فقد جرى التوصل إلى تسوية مؤقتة بين العرش والكرسي البابوي^(٩٤).

نصّت الاتفاقية على الاعتراف بحق الملك في منح الرموز للأساقفة، مقابل التزامه بعدم التدخل في الشؤون الروحية للكنيسة، وقد مثلت تلك التسوية تحولا مهما في مسار العلاقة بين الدولة والكنيسة في إنكلترا، إذ حافظت على توازن دقيق بين السيادة الملكية والسلطة الدينية، ووفرت أنموذجا وسطا بين الخضوع البابوي المطلق والاستقلال الملكي الصارم، مثلت الاتفاقية التي أبرمت بين الطرفين تسوية وسطية جوهرها ترسيخ مبدأ سيادة السلطة المدنية في مواجهة السلطة الكنسية، وأهم بنود اتفاقية بك^(٩٥):

١. الاعتراف بسيادة السلطة الملكية: أقرت المعاهدة بسيادة الملك على الشؤون المدنية للدولة، مع الإبقاء على استقلال الكنيسة في إدارة شؤونها الدينية والروحية.

٢. حق التعيين والمصادقة الملكية أو من ينوب عنه: مُنح الملك هنري الأول الحق في حضور مراسم انتخاب الأساقفة والموافقة النهائية على تعيينهم، تأكيدا لمكانة العرش الإنكليزي وهيئته أمام المؤسسة الكنسية، و نصّت المعاهدة على حضور الملك أو من ينوب عنه لمراسم تنصيب الأساقفة، تعبيرا عن السيادة الرمزية للتاج على رجال الكنيسة.

٣. حق منح الأراضي والممتلكات الكنسية: نصّت الاتفاقية على احتفاظ الملك بسلطته في منح الأراضي والممتلكات لرجال الدين، وهو ما أتاح له توطيد نفوذه داخل الكنيسة وكسب ولاء كبار رجالها.

٤. تحقيق التوازن بين السلطتين الزمنية والروحية: أكدت المعاهدة على ضرورة احترام كل من الملك والكنيسة لحدود سلطتهما، بحيث لا تتجاوز إحدهما الأخرى حفاظا على الاستقرار السياسي والديني في البلاد.

٥. إلغاء الحرم الكنسي: يحق للملك حظر رجال الدين من إصدار قرارات الحرمان الكنسي أو تنفيذها ضد الملك أو ممثليه، إلا بعد الرجوع إلى الكرسي البابوي، وهو ما حدّ من سلطة البابوية في إنكلترا.

٦. تقديم فروض الطاعة والولاء للتاج: ألزمت الاتفاقية رجال الدين بتقديم قسم الطاعة والولاء للملك قبل تسلم مناصبهم الكنسية، الأمر الذي رسخ خضوع المؤسسة الدينية لسلطة الملك. وبذلك تمكن الملك هنري الأول من فرض نوع من التوازن الدقيق بين الطرفين، إذ كسب ولاء عدد كبير من رجال الكنيسة من دون أن يتنازل عن جوهر سلطته الملكية^(٩٦).

تميز عهد الملك هنري الأول على الصعيد السياسي بسلسلة من الصراعات مع شقيقه الأكبر روبرت دوق نورماندي، الذي عاد من الشرق عام ١١٠١م بعد مشاركته في الحملات الصليبية، مطالبا بحقه في العرش الإنكليزي، لم يلبث النزاع أن تطور إلى مواجهة عسكرية مباشرة انتهت بانتصار الملك هنري الأول وضمه دوقية نورماندي إلى التاج الإنكليزي، وقد أدت فرنسا بقيادة الملك فيليب الأول ثم الملك لويس السادس دورا في ذلك النزاع، إذ سعت إلى استغلال الخلاف بين الأخوين لإضعاف الموقف الإنكليزي، لكنها فشلت في تحقيق مكاسب حقيقية، ولاسيما بعد أن رسخ الملك هنري سلطته في نورماندي، وتمكن بفضل دهائه السياسي من أن يحافظ على وحدة مملكته وهيبتها في الداخل والخارج^(٩٧).

شهدت إنكلترا في عهده مرحلة من التنظيم الإداري والسياسي المميز، الذي أسهم في ترسيخ السلطة المركزية وتقوية دعائم الحكم، فقد حرص الملك هنري على تثبيت أركان ملكه من خلال اتباع سياسة تقوم على احترام القوانين التي أرساها والده ويليام الفاتح، والتأكيد على ضرورة التزام النبلاء والأمراء بها، كما سعى إلى إحكام قبضته على شؤون الدولة عبر إصدار الأوامر الحكومية وتعيين الموظفين الأكفاء لإدارة مفاصل الحكم^(٩٨).

فضلا عن ذلك، اشتهر الملك هنري الأول بلقب أسد العدالة لما امتاز به من حرص على تحقيق العدل والمساواة بين رعاياه، ولإنشائه محاكم مفتوحة، أو المحاكم المتجولة، تتولى النظر في القضايا التي تخرج من نطاق المحاكم المحلية، إذ كانت الشكاوى تُرفع إليه مباشرة، فيصدر أوامر للفصل فيها ضمن مواعيد محددة وفق نظام قضائي منظم، وقد مثل ذلك النظام خطوة مهمة في سبيل تطوير القضاء الإنكليزي، إذ عمل على تنظيم جباية الضرائب، وفرض نظاما دقيقا لجمع الأموال، وإنشاء هيئة متخصصة للإشراف المالي عُرفت باسم "مجلس الخزانة" (Treasury Board)، تتألف من الوزراء والمستشارين الذين كانوا يجتمعون دوريا لمراجعة الحسابات المالية للدولة والتدقيق فيها، أما من الناحية الإدارية فقد اتسمت سياسته بالصرامة والانضباط، وحرصه على أن تصل التكاليف المالية إلى الخزينة

الملكية من دون وساطة، لضمان شفافية الموارد والنفقات، وقد كان لتلك الإجراءات أثر واضح في ترسيخ سلطة الدولة وتقوية مركزها المالي والإداري، توفي الملك هنري الأول عام ١١٣٥م عن عمر ناهز ٦٧ عاماً^(٩٩).

بناءً على ذلك، يمكن عدّ عهد الملك هنري الأول بأنة كان جسر العبور لإنكلترا من حكم الغزو العسكري إلى حكم المؤسسات، لم يكن الملك هنري مجرد ملك محارب كوالده الملك ويليام الفاتح، بل كان إدارياً أدرك أن استدامة العرش لا تتحقق بالسيف وحده، بل بضبط المال وإقامة العدل. يكمن نجاحه في تحويل السلطة من شخص الملك إلى مؤسسة الدولة، فعن طريق تأسيس الخزنة وتطوير القضاء، وضع اللبنة الأولى للجهاز الإداري الذي جعل إنكلترا واحدة من أقوى الممالك المركزية في أوروبا في العصور الوسطى، يبقى الملك هنري الأول أحد أعظم ملوك إنكلترا البنائين، إذ ترك خلفه دولة منظمة مالياً وقانونياً، لكنه تركها أيضاً بلا وريث قوي، مما يجعل عهده نموذجاً تاريخياً للملك الذي نجح في إدارة الدولة وفشل في ضمان استمرار استقرارها من بعده، وأنة علّم إنكلترا كيف تُحكم من وراء المكاتب لا من فوق ظهور الخيول فقط، لكنه لم يستطع أن يورث ذلك العلم لبارونات.

الخاتمة:

توصلت هذه الدراسة إلى إن الحكم النورماندي في إنكلترا (١٠٦٦-١١٤٥م) شكّل مرحلة حاسمة في تاريخ المملكة، فقد أدت أصول أسرة بلانتجنيت ودورها السياسي إلى تأسيس نظام حكم قوي ومنظم. كما أثّرت مقاطعة نورماندي وعلاقاتها المتشابكة مع إنكلترا في صياغة السياسة الداخلية والخارجية للملكة. وأظهرت طبيعة العلاقة بين أسرة بلانتجنيت وإنكلترا التوازن بين الولاء والمصالح السياسية، بينما خلقت خلافة أبناء ويليام الفاتح وتقسيم المملكة تحديات استقرارها ووحدتها أراضيها. في المجمل، ترك الحكم النورماندي إرثاً سياسياً واجتماعياً وثقافياً مهماً ساهم في رسم ملامح التاريخ الإنكليزي لاحقاً.

الهوامش:

(١) Vivek Singh, *Dynasties Of Power Royal Families That Ruled The World*, N.D, P.37.

(٢) الكونت: لقب نبيل تاريخي يُستخدم في النظام الإقطاعي الأوروبي، ويُعادل اللقب الإنكليزي آيرل. أصله من الكلمة اللاتينية comes، والتي كانت تعني "رفيق" أو "مرافق" للحاكم في أواخر العهد الروماني، ثم تطور اللقب ليشير إلى حاكم أو مسؤول عن إقليم ضمن الهيكل الإقطاعي، مع صلاحيات قضائية وإدارية وعسكرية أعلى من البارون وأدنى من الدوق، وكان يمارس السلطة نيابة عن الملك أو الإمبراطور في منطقته. للمزيد ينظر إلى:

Charles Catton, *The English Peerage; Or, A View Of The Ancient And Present State Of The English Nobility*, Vol.1, Spilsbury And Son, London, 1790, pp.142-144.

(٣) أنجو جيفري: وُلد عام ١١١٣م في أنجوفي قلعة شاتو شينون (Château Chinon) بفرنسا، وهو الابن الأول لفولك الخامس (Fulk V) وإرمبورجيا (Ermengarde)، تسلم الحكم عام ١١٢٩م، تزوج من ماتيلدا (Matilda) ابنة الملك هنري الأول (Henry I) ملك إنكلترا عام ١١٢٨م، وتوفي عام ١١٥١م. للمزيد ينظر:

Willim, Kibler W, and Douglas Kelly, eds. *Medieval France: An Encyclopedia*, Garland Publishing, London, 1995, p.744.

(4) Dan, Jones, *The Plantagenets The Warrior Kings and Queens who made England*, New York, 2012, pp.23-24.

(5) *Ibid*, p.24.

(٦) فولك الخامس: كونت أنجو منذ عام ١١٠٩م وملك القدس منذ ١١٣١م، عُرف بكونه قائدًا عسكريًا وسياسيًا فطنًا. عزز نفوذه عبر التحالفات الأسرية، إذ رتب زواج ابنه جيفري بلانتجنيت من ماتيلدا ابنة الملك هنري إنكلترا، ما أسهم في تخفيف العداء بين أسرة أنجو والنورمان، ومهد لقيام السلالة الأنجوية الحاكمة في إنكلترا. للمزيد ينظر:

Jennifer Lawler, *Encyclopedia Of The Byzantine Empire*, Mcfarland & Company, U.S.A, 2004, P.130.

(7) Kathryn Ann Dutton, *Geoffrey Count Of Anjou And Duke Of Normandy 1129-1151*, Submitted In Fulfilment Of The Requiements For The Degree Of Phd, College Of Arts, University Of Glasgow, August, 2011, pp. 27.

(٨) أسعد خليل داغر، تاريخ ولیم الظافر، مؤسسة هنداي للتعليم والثقافة، القاهرة، ٢٠١٢، ص ٢٩.

(٩) كامل جاسم دهش، ولیم الفاتح حياته ودوره السياسي في إنجلترا ١٠٦٦-١٠٨٧، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، ٢٠١٣، ص ١٨.

(١٠) ميليسندا: ملكة القدس، وابنة الملك بالدوين الثاني والملكة مورفيا الأرمنية، تُعد آخر امرأة حكمت مملكة القدس. تولت الحكم بوصفها قرينة زوجها فولك، انفردت بالحكم عقب وفاته عام ١١٤٣، شهد عهدها تنفيذ مشاريع عمرانية ودينية وثقافية مهمة، أبرزها إنشاء سوق مغطى، وتأسيس دير، ورعاية الفنون، وترميم كنيسة القيامة عام ١١٤٩. رفضت التنازل عن الحكم لأبنها بلدوين الثالث، مما دفعه لانتزاع السلطة منها وإخضاعها، وبسبب كفاءتها الإدارية ومهارتها في الحكم، أبقاها مستشارة ملكية له. للمزيد ينظر:

Mary Ellen Snodgrass, *Who's Who In The Middle Ages*, Mcfarland & Company, U.S.A, 2001, P.168.

(11) Dan Jones, *op.cit*, p.40.

(12) Kathryn Ann Dutton, *Op.Cit*, P.27.

(١٣) هنري الثاني: أول ملوك أسرة بلانتجنيت في إنجلترا، والداه جيفري بلانتجنيت وماتيلدا، ابنة هنري الأول، تولّى العرش عام ١١٥٤، ويُعد من أبرز ملوك إنجلترا في العصور الوسطى. تميّز عهده بإصلاحات قضائية مهمة، أبرزها إحياء نظام المحاكمة بهيئة المحلفين وتطوير الإدارة العدلية، كما شهد صراعًا بارزًا مع توماس بيكيت حول حدود السلطة بين الكنيسة والدولة، فضلًا عن إخضاعه البارونات المتمردين وتوسيع النفوذ الإنجليزي، بما في ذلك إخضاع اسكتلندا. للمزيد ينظر:

William F. Rocheleau, *The Home And School Reference Work*, Vol.Iii, The Home And School Education Society, Chicago, 1915, P.1303.

(14) Willim, Kibler, W, and Douglas Kelly, *Op.Cit*, p.77.

(15) Court Landt Canby, *Engyclopedla Of Historic Places*, New York, 2007, p.662.

(16) James Mcconnachie, *The Rough Guide To The Loire 'Rough Guides*, N.P, 2004, PP.55-58.

(١٧) الفايكنج: لقب أطلق على العناصر الشمالية التي كانت تسكن شبه جزيرة الدنمارك، بدأت غاراتها على أوروبا في القرن التاسع، وكلمة الفايكنج تعني سكان الخلجان. للمزيد يُنظر: سعيد عبد الفتاح عاشور، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، ط٢، دار النهضة العربية، بيروت، ٢٠١٥، ص ١٨٩.

(١٨) رولو: وُلد في النرويج عام ٨٦٠م، ويُعرف باسم رولون، ويُلقَّب برولف الزعيم أو المتجول، وتم نفيه من النرويج بأمر من الملك هارالد بسبب قيامه بمهاجمة بعض القوى النرويجية. للمزيد يُنظر:

Sarah Orne Jewett, The Norman: Told Chiefly In Relation To Their Conquest Of England, Place Of Publication, New York, 1905, p.2.

(١٩) ويليام الفاتح: وُلد عام ١٠٢٧، يُدعى ويليام اللقيط، وهو الابن غير الشرعي لروبرت الأول، الدوق السادس لمقاطعة نورماندي، وتُدعى أمه هيرليف، التي لم تكن دوقة، بل كانت ابنة دباغ. تُوفي عام ١٠٨٧. للمزيد يُنظر: نور الدين حاطوم، تاريخ العصر الوسيط في أوروبا، ج١، دار الفكر العربي، دمشق، ١٩٨٢، ص ٦٥٨.

(٢٠) ماتيلدا: سنتحدث عنها لاحقاً في المبحث الثاني بالتفصيل.

(21) *Willim, Kibler, W, and Douglas Kelly, Op.Cit, p.1310.*

(٢٢) الملك هنري الأول: ملك إنكلترا وابن ويليام الفاتح، وتميز بحكم امتد ٣٥ عاماً عُرف خلاله بإصلاح النظام الإداري وتثبيت السلطة الملكية. ولُقَّب بـ«بيوكليك» لكونه أول ملك إنكليزي متعلم قادر على القراءة والكتابة، كما لُقَّب بـ«أسد العدالة» لدوره في توحيد وتطوير نظام الحكم في البلاد. للمزيد ينظر:

Harvey Eugene Lehman, Lives Of England's Monarchs, H. E. Lehman, U.S.A, 2005, P.40.

(٢٣) محمود سعيد عمران، معالم تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، دار النهضة، ط٢، بيروت، ١٩٨٦، ص ٢٣٤.

(٢٤) هارولد جودوينسون: ولد عام ١٠٢٢م هو ابن الأمير غودون (Godwin) وأمه غيثا (Gytha)، أما أخته فهي إديث (Edith)، زوجة إدوارد المعترف أصبح هارولد ملكاً في ليلة وفاة إدوارد المعترف، وتوفي عام ١٠٦٦م. للمزيد يُنظر: *Frederica Rowan, History of England, William and Robert chambers, Landon and Edinburgh, 1851, p.32.*

(٢٥) موريس بيشوب، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، ترجمة علي السيد علي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٤، ص ٦٠.

(٢٦) مجلس الويتان: مجلس أنجلوسكسوني يعقد جلساته بحسب رغبة الملك، وظيفته استشارية فقط، ويقدم المشورة للملك عند النظر في القضايا التي تتم مناقشتها، كالنظر في حالات التمرد التي تقع في البلاد أو إقرار بعض القوانين. أما عضوية المجلس فمحصورة بالطبقة الراقية من المجتمع الإنكليزي، مثل كبار النبلاء والأساقفة. للمزيد يُنظر: كامل جاسم دهش، المصدر السابق، ص ٥٣.

(٢٧) محمود سعيد عمران، المصدر السابق ص ٢٤٣.

(28) *Tout, T. F., An Advanced History of Great Britain, Book III, Longmans Green And Co, New York, 1982, p.68.*

(٢٩) ألكسندر الثاني: بابا الكنيسة الرومانية الكاثوليكية بين عامي ١٠٦١-١٠٧٣م، وُلد عام ١٠١٠م في ميلانو بإيطاليا، اسمه أنسلمو داباجيو (Anselmo da Baggio)، وانتُخب للبابوية عام ١٠٥٩م. للمزيد يُنظر:

F. Donald Logan, A History of Church in the Middle Ages, London, 2002, p.112.

(٣٠) محمد محمد مرسى الشيخ، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠٠، ص ص ٤٠٨-٤١٠.

(٣١) محمد محمد مرسي الشيخ، المصدر نفسه، ص ص ٤٠٨-٤١٠.

(٣٢) فيليب الأول: ملك فرنسا من أسرة آل كابيه (Capetian Dynasty)، وُلد عام ١٠٥٢، والده هو هنري الأول ملك فرنسا (Henry I of France)، وأمه آن كييف (Anne of Kiev)، حكم فرنسا أكثر من ثمانية وأربعين عامًا، وهي أطول حقبة الحكم بين ملوك فرنسا. تُوِّج ملكًا وهو في السابعة من عمره، إذ أصبحت والدته الوصية عليه حتى بلغ الرابعة عشرة من عمره، تُوفي عن عمر السادسة والخمسين عام ١١٠٨م. للمزيد يُنظر:

Garland Encyclopedias of the Middle Ages, Vol. 2, Garland Reference Library of the Humanities, Vol. 932, New York and London, 1995, p. 1369.

(٣٣) بلدوين الخامس: أحد أبرز حكام مقاطعة فلاندرز، في القرن الحادي عشر، تولى الحكم بين عامي (١٠٣٥-١٠٧٦م)، تزوج من أديلا ابنة روبرت الثاني ملك فرنسا (Robert II of France)، وبذلك ربط أسرة فلاندرز بالنظام الملكي الفرنسي، شارك في إدارة شؤون المملكة الفرنسية عندما أصبح وصيًا على الملك فيليب الأول عام ١٠٦٠، تُوفي عام ١٠٦٧م. للمزيد يُنظر:

David C. Douglas, William the Conqueror: The Norman Impact upon England, University of California Press, 1964, pp. 38-40.

(٣٤) Elizabeth Hallam, *Capetian France: 987-1328*, Longman, N.P, 1980, pp. 51-56.

(٣٥) David McDowall, *An Illustrated History of Britain*, Longman Group UK Limited, United Kingdom, 1989, p. 23.

(٣٦) محمود سعيد عمران، المصدر السابق، ص ٢٤٤.

(٣٧) محمود سعيد عمران، المصدر السابق، ص ٢٤٤.

(٣٨) المصدر نفسه، ص ٢٤٤.

(٣٩) Christopher Dyer, *An Age of Transition: Economy and Society in England in the Later Middle Ages*, Clarendon Press, Oxford, 2005, p. 45.

(٤٠) أمل يوسف عبد الله معوض، المصاحرات السياسية بين إنكلترا وفرنسا في العصور الوسطى ٨٧١-١٣١٤م، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة عين شمس، القاهرة، ٢٠٠٥، ص ٣٢.

(٤١) المجلس الكبير: هيئة استشارية إقطاعية في إنكلترا تضم كبار رجال المملكة من رؤساء الأساقفة، والأساقفة، ورؤساء الأديرة، والأيرلات، والبارونات، والفرسان، كانت تجتمع بحضور الملك لمناقشة الأوضاع العامة للمملكة وتقديم المشورة له، وللمجلس صلاحيات تشريعية وتنفيذية وقضائية. للمزيد ينظر: زينب عبدالمجيد، ماهية البرلمان الإنجليزي في القرن الثالث عشر وحتى نهاية حكم الملك إدوارد الأول عام ١٣٠٧م، مصر، د.م، ص ص ٢٧-٢٩.

(٤٢) مجلس الملك الخاص: هيئة استشارية يعيّنّها الملك في إنكلترا لتقديم المشورة في شؤون الدولة، نشأت تدريجيًا من مجلس الويتاناغيموت (Witenagemot) ثم المجلس الكبير، واستقرّ كجهاز رسمي خلال القرنين الرابع عشر والخامس عشر. للمزيد ينظر:

The New International Encyclopaedia, Vol.XVI, Dodd, Mead And Company, New York, 1909, P.416.

(٤٣) علي جبر حسن، الصراع بين الملك والبرلمان في إنكلترا ١٦٠٣-١٦٨٩، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة الدول العربية، اتحاد المؤرخين العرب، معهد التاريخ العربي والتراث العلمي، بغداد، ٢٠١٢، ص ١٦.

(٤٤) Robin Son, James Harvey, *Medieval and Modern Times*, Ginn and Co, London, 1926, p. 117.

(٤٥) Robin Son, Op.Cit, p. 118.

(٤٦) أندرو ملر، مختصر تاريخ الكنيسة، ترجمة: ناشد ساويرس، ط٤، شركة الطباعة المصرية، القاهرة، ٢٠٠٣، ص ٢٨٣.

(٤٧) زينب عبد المجيد عبد القوي، الإنجليز والحروب الصليبية في المدة من ١١٨٩-١٢٩١م، مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة، العدد ٣٢، ١٩٩٦، ص ٣٢.

(٤٨) كنوت الرابع: وُلد عام ١٠٤٢، وهو أحد ملوك الدنمارك، دخل عضوًا في الكنيسة الكاثوليكية (Catholic Church) عام ١٠٦٩، وكان من المعارضين لهارولد وويليام الفاتح، وفي عام ١٠٨٠ نجح باعتراف عرش الدنمارك، قُتل عام ١٠٨٦م. للمزيد يُنظر: الموسوعة العربية الميسرة، المجلد الخامس، د.م، ٢٠١٠، ص ٢٦٥٤.

(٤٩) عباس فخري حمزة، هنري الثاني والتطورات الداخلية في إنكلترا ١١٥٤-١١٨٩م، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة بابل، ٢٠١٥م، ص ١٧.

(٥٠) كامل جاسم دهش، المصدر السابق، ص ١٧٣.

(٥١) محمود سعيد عمران، المصدر السابق، ص ٢٤٦.

(٥٢) محمود سعيد عمران، المصدر السابق، ص ٢٤٦.

(٥٣) أسامة إبراهيم حسيب، إنكلترا تحت حكم النورمان ١٠٦٦-١١٥٤، ط١، المكتب العربي للمعارف، القاهرة، ٢٠٠٨، ص ٣٠٥.

(٥٤) سعيد عبد الفتاح عاشور، محمد أنيس، النهضة الأوروبية في العصور الوسطى وبداية العصور الحديثة، القاهرة، ١٩٥٦، ص ص ١١٤-١١٥.

(55) Melkle John, *English Literature From Saxon Times to Georgian Era*, London, 1928, p.9.

(56) *Ibid*, p.9.

(٥٧) ه. أ. ل. فشر، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، ترجمة مصطفى زيادة والباز العريني، ط٢، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٦، ص ١٦٤.

(٥٨) ه. أ. ل. فشر، المصدر السابق، ص ١٦٤.

(59) Kenneth Feiling, *A History of England from the Coming of the Normans to 1918* London, 1950, pp. 122-123.

(60) William son, *English History*, London, 1899, p.48.

(٦١) أسامة إبراهيم حسيب، المصدر السابق، ص ص ٣٠٨-٣٠٩.

(٦٢) المصدر نفسه، ص ص ٣١٠-٣١١.

(63) Haskins C.H, *The Normans in European History*, New York, 1945, p.57.

(٦٤) إدمون ديمولان، سر تقدم الإنكليز الساكسونيين، ترجمة فتحي زغلول باشا، مطبعة الرحمانية، مصر، ١٩٤٦، ص ٣٤.

(٦٥) إدمون ديمولان، المصدر نفسه، ص ٣٤.

(٦٦) أسامة إبراهيم حسيب، المصدر السابق، ص ٣٢٥.

(67) Freeman, *A Short History of the Norman Conquest of England*, Oxford Press, 1922, p.145.

(68) Kenneth Feiling, *Op.Cit*, pp.122-123.

(69) Freeman, *Op.Cit*, p.164.

(70) Stenton, *Anglo-Saxon England*, Press, 1943, pp.66-74.

(71) Freeman, *Op.Cit*, p.164.

(72) Kenneth Feiling, *Op.Cit*, pp.122-123.

(٧٣) لانفرانك: وُلد في عام ١٠١٠م في مدينة بافيا شمال إيطاليا، تلقى تعليمه في تلك المدينة، وغادر إيطاليا إلى فرنسا شاباً، دافع صيته كمعلم متجول في المنطقة المحيطة بأفرانش في عام ١٠٤٢، التحق بدير بك في نورمانديا، وفي عام ١٠٧٠ عُيّن رئيساً لأساقفة كانتربري في إنكلترا، واستبدل معظم الأساقفة الأنغلوساكسون بالنورمان، توفي عام ١٠٨٩م. للمزيد ينظر:

Kibler, William W, and Douglas Kelly, eds. *Medieval France: An Encyclopedia*, Garland Publishing, New York and London, 1995, p. 398.

(٧٤) ويليام الثاني: يعرف أيضاً باسم ويليام رُفوس (Rufus) ملك إنكلترا، وابن الملك ويليام الفاتح. اشتهر بطبيعته الاستبدادية وبسعيه القمعي للحفاظ على السلطة، كما وصفه بعض المؤرخين بالعنيف المتعطش للدماء. ومع ذلك، لا علاقة لهاتين الصفتين بلقبه "الأحمر"، إذ تتفق المصادر على أن هذا اللقب يعود إلى احمرار وجهه. خلال حكمه، واجه ثورتين تهدفان إلى خلع من العرش، وقد قمعهما بقسوة. وفي نهاية حكمه، قُتل غيلة أثناء رحلة صيد. للمزيد ينظر: منير البعلبكي، موسوعة اعلام المورد، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩٢م، ص ٤٩٧.

(٧٥) روبرت كورتوس: الابن الأكبر لويليام الفاتح كان دوق نورماندي الذي شارك في الحملة الصليبية الأولى، ورفض مملكة القدس، ثم حاول الاستيلاء على عرش إنكلترا بعد وفاة شقيقه ويليام روفوس. فشل غزوه لإنكلترا عام ١١٠١، وهُزم في معركة تانشبري ١١٠٦ على يد شقيقه هنري الأول، فاعتُقل وقضى بقية حياته سجيناً حتى وفاته عام ١١٣٤. للمزيد ينظر:

Edward Sandford Burgess, *Memoirs Of The Torrey Botanical Club, Vol.X, The Clue*, New York, 1902, P.238.

(٧٦) موسى محمد آل طويرش، التطور الديمقراطي في بريطانيا ١٠٦٦-١٩٠١، دار ومكتبة عدنان، بغداد، ٢٠١٢، ص ٤٩.

(٧٧) عبد القادر أحمد اليوسف، العصور الوسطى الأوروبية، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ١٩٦٧، ص ١٧٤.

(٧٨) زينب عبد المجيد عبد القوي، المصدر السابق، ص ٤٤.

(٧٩) القديس أنسلم: وُلد في عام ١٠٣٣م في مدينة أوستا الواقعة في منطقة ببيمونتي شمال إيطاليا، تلقى تعليمه في مدرسة دينية، ورحل في شبابه إلى فرنسا، حيث واصل دراسته في مدرسة تابعة لدير بك في مقاطعة نورماندي عام ١٠٥٩، وأصبح رئيساً للدير في عام ١٠٧٨، توفي عام ١١٠٩، مؤسس الدير. للمزيد يُنظر:

Kibler, William W, and Douglas Kelly, *op. cit.*, p. 38.

(٨٠) عبد القادر أحمد اليوسف، المصدر السابق، ص ١٧٤.

(٨١) الحملة الصليبية الأولى: بدأت الحملة عام (١٠٩٥-١٠٩٩) التي دعا إليها البابا أوربان الثاني في مجمع كليرمون في ٢٧/تشرين الثاني/١٠٩٥م شعب فرنسا تحديداً للسير في طريق القبر المقدس واستعادة الأرض المقدسة من الأتراك. للمزيد يُنظر:

Richard K. Emmerson, *Key Figures in Medieval Europe*, *op. cit.*, p. 642.

(٨٢) مواهب عدنان أحمد محمد، الماكن كارتا (Magna Carta) وبدايات التطور الدستوري في إنكلترا (١٢١٥-١٢٢٥)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة تكريت، ٢٠٠٨، ص ٢٤-٢٥.

(٨٣) البابا أوربان الثاني: وُلد عام ١٠٣٥، كان فرنسي الأصل، ينحدر من عائلة نبيلة من شاتيلون، وكان اسمه أودو حين تسميته، كان مصلحاً كنسياً ومؤسساً للحركة الصليبية، توفي عام ١٠٩٩. للمزيد يُنظر:

Richard K. Emmerson, *Key Figures in Medieval Europe*, *op. cit.*, p. 641.

(٨٤) نور الدين حاطوم، المصدر السابق، ص ٧٨٤.

(٨٥) منى محمود عبد الرؤوف بهلول، تاريخ إنجلترا السياسي والحضاري في عصر الملك هنري الأول (١١٠٠ - ١١٣٥م)، وحتى سنة ١١٥٤م، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الاسكندرية، ٢٠٠٩، ص، ص ٦٤؛ نور الدين حاطوم، المصدر السابق، ص ٧٨٤.

(86) *Williamson, James A., The Evolution of England, Clarendon Press Oxford, 1945, p. 92.*

(87) *Caroline Bingham, The Crowned Lions: The Early Plantagenet Kings, Newton Abbot, England, David and Charles, N.P, 1987, p. 11.*

(٨٨) إديث: تُعرف باسم ماتيلدا، أميرة اسكتلندية، وزوجة الملك هنري الأول الإنكليزي، أدارت ممتلكات واسعة مكنتها من ممارسة الرعاية الدينية والعلمانية، وأسهمت في تأسيس رهبان الأوغسطينيين في إنكلترا، كما نفذت مشاريع بنية تحتية في لندن. عُرفت بعلاقتها المبنية على الاحترام المتبادل مع الملك، وبشواطئها السياسي والإداري في غيابه، وباهتمامها بالفنون والثقافة، وبأعمالها الخيرية وورعها الشخصي، حتى وصفها المعاصرون بأنها "ملكة صالحة" و"ذاكرة مباركة". للمزيد ينظر:

Lois L. Huneycutt, Matilda Of Scotland, The Boydell Press, Uk, 2003, P.1.

(٨٩) محمود سعيد عمران، المصدر السابق، ص ٢٤٨.

(٩٠) زينب عبد المجيد عبد القوي، المصدر السابق، ص ٥١.

(٩١) البابا باسكال الثاني: وُلد عام ١٠٥٠م (بنيريوس) لعائلة نبيلة في ببيدا جنوب فاينسا في وسط إيطاليا، وفي صغره أُدخل ديرًا للرهبة البندكتية، وفي سن العشرين أُرسِل إلى روما، حيث نال ثقة البابا غريغوري السابع ورضاه، فعينه كاردينالًا لدير سان كليمنتي، توفي عام ١١١٨. للمزيد يُنظر:

Richard K. Emmerson, Key Figures in Medieval Europe: An Encyclopedia, Routledge New York, 2006, p. 503.

(٩٢) لويس السادس: هو ابن فيليب الأول وبيرتا من هولندا، وملك فرنسا من عام (١١٠٨-١١٣٧م)، وكان يُدعى بـ(لويس السمين) لبدانته، ويبدو أنه عُرف ببدانته بقدر ما عُرف بسيطرته المحدودة، ورث لويس تحديات سياسية وإقطاعية فوضوية للسلطة الملكية، توفي عام ١١٣٧م. للمزيد يُنظر:

Kibler, William W, and Douglas Kelly, op. cit., p. 1118.

(٩٣) زينب عبد المجيد عبد القوي، المصدر السابق، ص ٥١.

(٩٤) موسى محمد آل طويرش، المصدر السابق، ص ٥١.

(٩٥) المصدر نفسه، ص ٥١.

(٩٦) موسى محمد آل طويرش، المصدر السابق، ص ٥٢.

(٩٧) نور الدين حاطوم، المصدر السابق، ص ٧٩١.

(٩٨) محمد ترحيني، معالم التاريخ الأوروبي الوسيط، دار الهادي، بيروت، ١٩٩٢، ص ٩٨.

(٩٩) موسى محمد آل طويرش، المصدر السابق، ص ٥٢.